

سورة الطارق

مكية، وآياتها ١٧

[نزلت بعد البلد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ اَلنَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾﴾

﴿اَلنَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: دريء، لأنه يدرؤه، أي: يدفعه. ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً: طارق: أو لأنه يطرق الجنى، أي يصكه. والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرحم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أي فائدة تحته؟ قلت: أراد الله - عز من قائل -: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له، لما عرف فيه من عجب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ ثم فسره بقوله: ﴿اَلنَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال ﴿فَلَا أُنسِئُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَنَسَّ لَوْ تَفَكَّرُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦] روي: أن أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحط نجم، فامتلاً ما ثم نوراً فجزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله» فعجب أبو طالب، فنزلت (١٧٣٧).

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿١﴾﴾

فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿١﴾﴾ لأن «إن» لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى: إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن «ما» صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم، حافظ مهيمن عليها

١٧٣٧ - ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٧٦ رقم (٨٥١) بغير إسناد.

وعزاه الزيلعي (١٨٩/٤) للثعلبي قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد. انتهى.

رقيب، وهو الله عز وجل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾ [النساء: ٨٥]، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر. وروي عن النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا ختطفته الشياطين»/٢/ ٢٦٠ (١٧٣٨).

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾

فإن قلت: ما وجه اتصال قوله ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾ بما قبله؟ قلت: وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظًا، أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته؛ و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ والدفق: صب فيه دفع. ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه ﴿مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة: وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة. وقرئ «الصلب» بفتحيتين، والصلب بضميتين. وفيه أربع لغات: صُلْب، وِصْلَب، وِصْلَب، وِصْلَب قال العجاج [من الرجز]:

فِي صَلْبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ^(١)

١٧٣٨ - رواه الطبراني في الكبير (١٩٦/٨ - ١٩٧) رقم (٧٧٠٤) حدثنا أبو زيد الحوطي، ثنا أبو اليمان، ثنا عفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله فذكره. قال الهيثمي (٢٠١٩/٧).
«وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف» أ.هـ.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني من رواية عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة به وأتم منه. وعفير ضعيف. انتهى.

(١) ربا العظام فخمة المخدم ربا العظام فخمة المخدم في صلب مثل العننان المؤدم

للعجاج. والربا: تأنيث الريان، أي: لينة العظام، سمينة محل الخدام وهو الخلدال. والمخدم - بالتشديد - على اسم المفعول. والصلب - بضميتين، وبفتحيتين، وبضم فسكون: عظام الظهر، والمراد هنا: الخصر. وفي بمعنى مع، أي: وصفت بهذه الصفات، مع أن لها خصرًا رقيقًا ليّنًا، مثل العننان المؤدم. على اسم المفعول، أي: المؤلف بالقتل، يقال: آدم بينهما - بقصر الهمزة ويمدها -: بمعنى أُلّف وأصلح. أو المجمعول له أدمه. أو لين الأدمه - بفتحيتين، وهي الجلدة المدبوغة المصلحة، من أدمه بالمد: جعل له أدمه. والفخمة بالضم: الضخامة واسترخاء الرجلين. والفخمة - بالفتح -: وصف منه.
ينظر: ديوانه ٤٤٩/١، ٤٥٠، ولسان العرب (صلب)، (أدم)، وتهذيب اللغة ١٩٦/١٢، وتاج =

وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

﴿إِنَّ عَلَّ رَبِّيهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩) ﴿قَالَ لَمْ يَنْ قُوُّ وَلَا نَأْيِرٌ﴾ (١٠)

﴿إِنَّ﴾ الضمير للمخالق، لدلالة «خلق» عليه. ومعناه: إن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفه ﴿عَلَّ رَبِّيهِ﴾ على إعادته خصوصاً ﴿لَقَادِرٌ﴾ لبين القدرة لا يلتاث^(١) عليه ولا يعجز عنه. كقوله: إنني لفقيير^(٢) ﴿يَوْمَ تَبْلَى﴾ منصوب برجعه؛ ومن جعل الضمير في ﴿رَبِّيهِ﴾ للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل. أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر ﴿السَّرَائِرُ﴾ ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفي من الأعمال وبلاؤها. تعرّفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد [من الطويل]:

سَيَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ وَدُ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ^(٣)

فقال: ما أغفله عما في ﴿السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿قَالَ لَمْ﴾ فما للإنسان ﴿يَوْمَ قُوُّ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَأْيِرٌ﴾ ولا مانع يمنعه.

﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (١٣) ﴿وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ﴾ (١٤)

= العروس (صلب)، (أدم)، والمخصص ٧٩/١٥، وديوان الأدب ٢٠٤/١، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١١٣٩، ومقاييس اللغة ٣٠١/٣، ومجمل اللغة ٢٣٥/٢، والمخصص ١٥/١، ٤١، ٤/٤، ١٠٩.

(١) قوله: «لا يلتاث عليه» في الصحاح «الثات في عمله»: أي أبطأ. (ع)

(٢) قوله: «كقوله إنني لفقيير» أي الشاعر، حيث قال [من الطويل]:

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر مني إنني لفقيير
وقد تقدم شرح هذا الشاهد.

(٣) إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب: ميعاد السلو المقابر
سيفي لها في مضمر القلب والحشا سريرة وديوم تبلى السرائر

لمجنون بني عامر صاحب ليلي العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعاً: ترشيح، ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعية دالة على أن بعضه يكفي في الشفاعة. وقوله: «المقابر» أي دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبني للفاعل، أي: تفسى. ويحتمل بناؤه للمفعول، أي: يختبر والحشا - بالفتح -: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضاً.

ينظر: ديوانه ص ١١٨، ولسان العرب (ضمير)، والتنبيه والإيضاح ١٥٥/٢، وتاج العروس (ضمير)، والشعر والشعراء ص ٥٢٥، والأغاني ٢٤٤/٤، وأماله القالي ١٦٤/٢.

سُمي المطر رجعًا، كما سمي أوبًا قال [من البسيط]:

رَبَّاءُ شَمَاءٍ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السُّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبَلُ^(١)

تسمية بمصدر: رجع، وآب؛ وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعًا. وأوبًا، ليرجع ويؤوب. وقيل: لأن الله يرجعه وقتًا فوقتًا. قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية. والصدع: ما تتصدع عنه الأرض من النبات ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن ﴿فَصَلِّ﴾ فاصل بين الحق والباطل، كما قيل له فرقان ﴿وَمَا هُوَ بِالْمُرْسَلِ﴾ يعني أنه جد كله لا هوادة فيه. ومن حقه - وقد وصفه الله بذلك - أن يكون مهيبًا في الصدور، معظمًا في القلوب، يترفع به قارنه وسامعه وأن يلزم بهزل أو يتفكه بمزاح، وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه، ويعدده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية، فأدنى أمره أن يكون جادًا غير هازل، فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: ﴿وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿٦١﴾ [النجم: ٦٠ - ٦١]، ﴿وَالْعَمْرَأُ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٦ ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنهَلَهُمْ رُؤُوسًا﴾ ١٧

﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: أهل مكة يعملون المكائد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق، وأنا أقابلهم بكيدي: من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ﴿أَنهَلَهُمْ رُؤُوسًا﴾ أي: إمهالًا يسيرًا؛ وكثر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصيير.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات» (١٧٣٩).

١٧٣٩ - تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الواحدي والشعلبي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

(١) للمتخل الهذلي يرثي ابنه. وقيل: يصف رجلاً بأنه رباء، أي طلاع من ربا وارثًا: إذا طلع لينظر إلى أمر. ومنه الربيبة؛ وإضافته إلى شماء من إضافة الوصف لمفعوله: وهي القلعة المرتفعة من الششم وهو الارتفاع. وقلعة الجبل وقتته: رأسه وأعله. والأوب: النحل، لأنه يذهب ويثوب إلى بيته. أو المطر؛ لأن أصله من بحار الأرض على زعم العرب، ثم يثوب إليها. والسبل - بالتحريك -: المطر من أسبلت الستر إذا أرسلته وأرخته، وعلى أن الأوب بمعنى النحل لا مناسبة بينه قرينية، وعلى أنه بمعنى المطر، فالسبل مرادف له.

ينظر: خزنة الأدب ٧، ٣/٥، وشرح أشعار الهذليين ٣/١٢٨٥، وشرح شواهد الأيضاح ص ٣١٥، وشرح المفصل ٣/٥٨، ٥٩، وللهدلي في لسان العرب (أوب).